A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة

89278-
Sh5985Y FA
c.1

٦

كلمة في

احمد شوقي

المتنبي وشوقي قمتان في الشعر
العربي بينهما واد سحيق

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة

بيروت

١٣٦١هـ ١٩٤٢م

تطلب من مكتبة منيمنه — شارع المعرض — بيروت

الكلمة الاولى

المتنبي وشوقي قمتان في الشعر العربي بينهما وادٍ سحيقٌ . ولقد امتاز شوقي من سائر شعراء العربية في انه طرق جميع الفنون التي طرقوها وزاد عليهم في فن واحد : الروايات التمثيلية شعراً ونثراً ، وهو فن جديد في اللغة العربية - اذا اعتبرنا المقاييس الغربية قديماً وحديثاً . ان العرب لم يعرفوا هذا الفن الا في القرن التاسع عشر .

نقل العرب العلم والفلسفة والسلوك عن الامم الاخرى ولم يخفلوا « بالادب » الا قليلا فان البنداري مثلاً نقل « شاهنامة » الفردوسي نثراً . واما الشعر اليوناني خاصة - والتمثيلي منه - فلم ينقله العرب لاسباب اهمها (١) صعوبة نقل الشعر من لغة الى لغة ، و كان (٢) العرب يذهبون بنفسهم الى انهم « اهل الشعر » فلم يخفلوا بشعر غيرهم . و (٣) كان في الشعر اليوناني خاصة خرافات وثنية مبنية على تدخل الآلهة في اعمال البشر فانصرف المسلمون عنه . ويظهر (٤) ان « البيئة العربية الاولى » لم تكن متهيأة من الناحية الفنية والاجتماعية والثقافية لهذا النوع من الادب

على ان بعض الدارسين يرون ان « الفن التمثيلي » ظهر في القرون الوسطى عند العرب في احاديث ابن دريد والمقامات ورسالة الغفران للمعري والسبايا (ايام عاشوراء) . وقصة عنترة والف ليلة وليلة وما اليها ، ولكن هذه كلها تخرج عن مدلول « مسرح » كما نعرف عند اليونان قديماً وعند الاوروبيين حديثاً .

ولكن في اواسط القرن التاسع عشر قام مارون النقاش بمحاولة صحيحة في سبيل التمثيل ، فقد زار ايطاليه ورجع تحفزه الرغبة الى الفن التمثيلي فنقل في اول الامر رواية البخيل لموليير ومثلها في بيته . ثم الف فرقة تمثيلية واعد لها بعض الروايات - وضعاً واقتباساً - ومثلها في سورية ومصر . ثم سار غيره على آثاره .

على ان الغالب على الروايات التي مثلت عندنا النقل (الترجمة) والاقتباس ومن اشهر الروايات التي نالت شهرة بين الجمهور (روميو وجوليت) وهي مقتبسة من رواية باسمها لشكسبير و (صلاح الدين) الايوبي وهي ايضاً اقتباس من شكسبير . وظل الامر كذلك حتى جاء شوقي .

ع . ف

١١ / ٤ / ٤٢

احمد شوقي

١ — موجز ترجمته

اصله ومولده : اسرة « شوقي » من الاسر الطارئة على مصر : كان جد شوقي لابيه من اكراد الجزيرة ، أمّ مصر في اوائل القرن التاسع عشر بوُصاة من احمد باشا الجزار والي عكاء ودخل في خدمة محمد علي باشا . واما جده لامه فتركي من الاناضول اسمه احمد حليم النجده لي [1] دخل ايضاً في خدمة محمد علي باشا ثم تزوج احدى معتوقاته وهي امرأة يونانية الاصل اسمها تمراز [2] سبيت في حرب المورة .

ثم ان احمد حليم اصبح فيما بعد وكيلاً على املاك الخديوي اسماعيل الخاصة ؛ ولما توفي « امر الخديوي ان يُنقل مرتبه برُمّته الى ارملته وان يحسب ذلك معاشا لا احساناً » . اما والد الشاعر فاسمه علي .

وولد « احمد » في مصر القاهرة عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) في اسرة غنية ؛ ولكن والده كان قد اتلف ثروتها باسرافه ، فنشأ « احمد » يسمع بتلك الثروة ولا يرى من آثارها الا الاحاديث عنها . على ان جدته لامه كفلته ، ثم انها دخلت به — وعمره يومذاك ثلاث سنوات — على الخديوي اسماعيل ، فاظهر الخديوي عليه عطفاً كبيراً .

طلبه للعلم : وفي الرابعة من عمره (١٢٨٩ هـ — ١٨٧٣ م) دخل « احمد » « مكتب الشيخ صالح » ثم انتقل الى « المبتديان » — اي المدرسة الابتدائية — ثم الى المدرسة التجهيزية . وفي عام ١٨٨٣ ادخله ابوه مدرسة الحقوق ، ولكن لما انشأت الحكومة قسما للترجمة في مدرسة الحقوق نفسها انتقل « احمد » اليه ومكث عامين في

---

(١) ص ٤٢٦ .— المصادر لدراسة حياة شوقي وادبه كثيرة ، ولكن من احسنها كتاب ذكرى الشاعرين ، جمعه ورتبه احمد عبيد (دمشق ١٣٥١) ، وسنشير الى هذا الكتاب بذكر صفحاته فقط في المتن او في الحواشي . واما الكتب الاخرى فسنذكرها باسمائها . (٢) معتوقة ابراهيم باشا — ديوان ٣ : ٤٢

قسم الترجمة ونال شهادته النهائية (١٨٨٦ م) [١] وبعد مدة يسيرة الحقه الخديوي توفيق « بالمعية السنية » بعد انا لحق اباه بالخاصة .

وفي عام ١٨٨٧ بدا للخديوي توفيق ان يرسل « احمد شوقي » [٢] الى فرنسة لمتابعة دراسة الحقوق ، مع انه لم يكن كبير الميل الى الحقوق (ص ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٩٢) ؛ فالتحق شوقي بجامعة مونبليه ومكث فيها سنتين ثم انتقل الى باريس . وقد زار في اثناء ذلك انكلترة زيارة قصيرة . ثم انه في اثناء سنته الدراسية الاولى في باريس مرض مرضاً شديداً فوصف له الاطباء الاستشفاء تحت سماء افريقية فاختار الجزائر ؛ بعدئذ رجع الى فرنسة ونال شهادته في الحقوق سنة ١٨٩١ ، ثم عاد الى مصر .

وفي عام ١٨٩٤–١٨٩٥ م اقيم المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين في مدينة جنيف (سويسرة) فكان شوقي في الذين مثلوا مصر فيه فالقى قصيدة يعرض فيها تاريخ مصر : الديوان : ١ — ٢٠

همّت الفُلك واحتواها الماءُ وحداها بمن تقل الرجاء

وانتهز شوقي فرصة وجوده في اوروبة فزار بلجيكا ، ثم عرج في ايابه على القسطنطينية مستشفيا من رمد ألم به . ولما رجع الى مصر (١٨٩٥) عين رئيسا للقلم الافرنجي في ديوان عباس حلمي الثاني وظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العامة وقبل انصرام القرن التاسع عشر توفي علي ، والد شوقي (١٨٩٧م) .

نفسيته : كان لشوقي فلسفة سياسية ولكن لم يكن له لون سياسي ولا انتمى الى حزب سياسي قط ، بل ارتفع فوق الاحزاب كلها ولم يناصب احداً من رجالها العداء . ولم يشأ شوقي ان يتعرض للقول في السياسة ، مع انه كان يتألم لحال مصر السياسية في ذلك الحين . . . ، حتى حملته الايام على ان « يقول » ؛ فانه لما خلع الخديوي عباس حلمي (١٤ كانون الاول ١٩١٤) لميله الى تركية ، ونُصب مكانه السلطان حسين كامل بن اسماعيل هنأه الشعراء وفيهم حافظ ابراهيم [٣] فلم يكن بد من ان يقول

(١) راجع احمد عبد الوهاب ابو النز ، اثني عشر عاماً في صحبة امير الشعراء ١١، ٧٣ (٢) «شوقي» صيغة تركيبه مثل صبري وحمدي وصبحي وزهدي، ولذلك سنتركها مبنية على السكون .

(٣) ديوان حافظ من صباه الى وفاته ص ٢٣٦ ٢٣٢

شوقي فقال : ديوان ١ : ٢١٤ — ٢١٨ .

الملكُ فيكم آلَ اسماعيلا لازال ملككم يُظل النيلا

وورد في القصيدة ابيات تحتمل التأويل وتحمل غمزاً فاقتضى ذلك ابعاد شوقي عن مصر (اوائل ١٩١٥) فاختار اسبانية واقام في برشلونة لا يسمح له بتبراحها حتى اعلنت الهدنة (١١ تشرين الثاني ١٩١٨) . عندئذ ساح شوقي في اسبانية العربية (الاندلس) عاما او نحو عام (١٩١٨—١٩١٩) رجع بعده الى مصر

بعد المنفى : ولقد افاد شوقي ثروة قبل ان ينفى ، فلما عاد الى وطنه رغب عن التقيد بخدمة الحكومة فانفق قسما من وقته على الاشراف على املاكه ، ووفرّ الباقي على التفرغ لقول الشعر .

ولما انشئت الحياة النيابية في مصر عين شوقي عضواً في مجلس الشيوخ [1]

واخذت شهرة شوقي تتسع ومكانته تسمو فلما ام لبنان للاصطياف اقام له المجمع العلمي العربي بدمشق حفلة تكريم (١٠ آب ١٩٢٥) القى فيها قصيدة من اروع قصائده (ص ٤٦٥—٤٦٦) :

قم ناج جلق وأنشُدْ رسم من بانوا مشت على الرسم احداث وازمانُ

ثم طبقت شهرته العالم العربي واستيقن الادباء عبقريته وعظمته فاقاموا له حفلة تكريم كبرى في دار الاوبرا بالقاهرة ١٩٢٧ حضرتها وفود البلدان العربية — عدا الحجاز — فنهض حافظ ابراهيم والقى قصيدته الكبرى :

بلابلَ وادي النيل بالمشرق اسجعي بشعر امير الدولتين ورجّعي

حتى قال مصرحا بعد التلميح :

اميرَ القوافي قد اتيتُ مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وكانت وفاة شوقي بعد منتصف ليل ١٣—١٤ تشرين الاول ١٩٣٢ (جمادي الآخرة ١٣٥١ هـ)

---

(١) خورشيد ، امير الشعراء شوقي ص ٣٠

٢ ــ عناصر شخصيته

يظهر مما ذكره الذين عرفوا شوقي ودرسوا شعره ان لشوقي شخصية مزدوجة : شخصية الرجل وشخصية الشاعر . على ان بعضهم رأى هـذه الشخصية مزدوجة في شعره ايضاً .

لم يعتن شوقي بمظهره الخارجي « تراه في كثير من الشؤون يعيش عيشة المغلوكين فيركب الترام في مؤخرته ويلبس معطفاً يزيد عن قياسه ويتخذ ربطة العنق من صنف لايكلفه عناء عقدهُ ويعتر احياناً بثياب قديمة (ص ٤٥٦) » . ثم انه لم يكن حسن التحديث ، فيما قالوا . ومع انه كان كثير المباسطة لاصدقائه في المواقف العادية عظيم التودد اليهم فانه كان — في المواقف الخاصة — يحب ان يصر على الفارق بينه وبينهم ؛ وكان على لطفه وسماحة ضيق الصدر بالنقد اذا وُجِّه الى شعره .

وبجانب هذه الشخصية العادية في حياة شوقي الخاصة[1] تجد في شعر شوقي شخصية فخمة ضخمة « شمّاء الانف من الطراز الاول » خلقتها عناصر مختلفة :

(١) الاعتزاز بالمركز الاجتماعي — كانت اسرة شوقي من الاسر المسيطرة في مصر يرجع عهد سيطرتها الى بدء النهضة السياسية الحديثة ، فجد شوقي دخل في حكومة محمد علي باشا وظل اسلافه في مراكز الدولة الى ايامه .

(٢) عطف البيت المالك في مصر — لقي شوقي واسرته من قبله عطفاً خاصاً من البيت المالك في مصر زاد في رفعته في اعين الناس وكَسَبَهُ شهرة وسهّل امامه سبل العيش والثروة . وقد اذكى ذلك قريحته من ناحية ، ولكنه قيدها من ناحية ثانية .

(٣) عطف الخلافة — ونال شوقي خاصة عطف عبد الحميد الثاني ، في احاديث طويلة ، فاعلى ذلك مقامه وخلع على شعره رونقاً جديداً .

(٤) دراسته في اوروبا — ولما امّ شوقي اوروبه اتسع افق حياته الشخصية والادبية معا بما يستفيده الانسان من اسفاره عامة ، فانه احتك بالمذاهب الادبية التي كانت تسود

---

(١) راجع ابو النز ص ٦٤ - ٧٠ ، ٧٥ وما بعدها .

يومذاك فرنسة ؛ فقد عاش في باريس في عصر هيجو وفرلين وموسيه . . . ورأى فيرلين . . . وعاصر عهد التجدد الفني في الادب بفرنسة ؛ وعاصر ايضاً عهد النهضة السياسية القومية بعد الحرب البروسية الفرنسية (راجع ص ٤٤٣-٤٤٤) . على ان لاستعداد شوقي الطبيعي اثراً قوياً ، فليس جميع الذين ذهبوا الى اوروبة وشهدوا ما شهد شوقي اصبحوا مثل شوقي .

(٥) قراءة الشعر القديم — وكانت دواوين الشعر العربية تنشر في مصر في ذلك الحين فكان شوقي يطالعها ويغترف من خصائصها ويعارض اشهر قصائدها .

(٦) ثروة شوقي — وكان شوقي الى ذلك الحين قد افاد مالاً واقتنى اراضي واقبلت عليه الدنيا فرُفع عن عاتقه الكدحُ في سبيل الحياة ووفّر وقته على نظم الشعر ؛ فهو من هذه الناحية اشبه بعمر ابن ابي ربيعة .

(٧) نفيه الى الاندلس — وفي الاندلس احتك شخصياً بالمجد العربي الاسلامي في اوروبة ، واعتزل يفكر في حال مصر حتى خرج بتلك العبقرية الوطنية القومية ، وخلق له فوق هذا كله ديباجة شعرية لم نعرفها من قبل لشوقي .

(٨) ترفعه عن الاحزاب — كان شوقي متمرساً بالسياسة المحلية في مصر ولكنه لم ينتسب الى حزب ما ؛ بل كان مترفعاً عن الخصومات كلها ينظم في جميع المناسبات السياسية والوطنية والدينية لم يخص نفسه باحد . ولكنك كنت تتميز في اقواله ثلاث دوائر متمركزة : العرب والاسلام والشرق . وكانت مصر نفسها تتمثل دائماً في احدى هذه الدوائر الثلاث .

(٩) اتجاهه القومي — كان شوقي قبل نفيه الى الاندلس كثير العطف على الناحية التركية في السياسة والقومية ؛ فلما عاد من الاندلس ، ولما الغى مصطفى كمال الخلافة ظل يعطف على « الفكرة العثمانية » ولكنه جعل يعاتب الاتراك . ومن ذلك الحين برزت الناحية العربية في شعره بروزاً غطى على كل شيء .

(١٠) مقامه الادبي — عبّر شوقي بحق على شعور الشرق كله فنال على ذلك مقاماً ادبياً في حياته قل ان تمتع به اديب حي قبله ، واخمل ذكر الشعراء المعاصرين حتى

حافظ ابراهيم . اما سائر الشعراء فلا يُذكر بعضهم مع شوقي الا لانّ حسن حظهم جعلهم من معاصريه .

٣ — خصائصه الفنية

خصائص شوقي الفنية فرقان عظيمان : الخصائص التقليدية والخصائص الاصيلة . اما الخصائص التقليدية فهي التي تظهر عموما في قصائده التي عارض بها « المشهورات » في الشعر العربي . ان شوقي لما عارض « فتح عمورية » لابي تمام و « سينية » البحتري و « كافورية » المتنبي و « البردة » للبوصيري و « قصيدة ولادة » لابن زيدون ؛ قلد خصائص هذه القصائد عمداً وعفواً . من ذلك انه لما عارض قصيدة ابي تمام :

السيف اصدق إنباءً من الكتب ... في حده الحدّ بين الجد واللعب
اتتهم الكربة السوداء سادرةً ... منها وكان اسمها فراجة الكُرَب
لقد تركتَ امير المؤمنين بها ... للنار يوما ذليل الصخر والخشب
تدبير معتصم بالله ، منتقم ... لله ، مرتقب في الله ، مرتهب
من بعد ما اشبوها واثقين بها ... والله مفتاح باب المعقل الاشب
ولى وقد ألجم الخطيّ منطقه ... بسكتة تحتها الاحشاء في صخب
فبين ايامك اللاتي نُصرت بها ... وبين ايام بدر اقربُ النسب

قال (ديوان ١ : ٤٨ — ٥٣)

الله اكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدّدْ خالد العرب
خاضوا العوان رجاء ان تبلغهم ... عبر النجاة فكانت صخرة العطب (١)
ما كان ماء سقاريا سوى سقر ... طغت فاغرقت الاغريق في اللهب (٢)
كرب تغشّاهمُ من رأى مآستهم ... واشأم الرأي ما القاك في الكُرَب
جد الفرار فالقى كل معتقل ... قناته وتخلى كل محتصب

---

(١) العوان : الحرب ، عبر : الشاطىء
(٢) سقاريا نهر في آسية الصغرى كانت عليه المعركة ، سقر : جهنم ، الاغريق : اليونان

يوم كبدر فخيل الحق راقصة على الصعيد وخيل الله في السحب
قواد معركة ، ورُاد مملكة ، اوتاد مملكة ، آساد محترب

فاذا راجعت معارضاته تبين لك ان شوقي يطبع على غرار الشاعر الذي يعارض قصائده في الوزن والقافية وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والاغراض وفي الديباجة والنفس . ولكنه كان يتقدم اولئك الشعراء في المعنى ويتأخر عنهم في اللفظ .

*

على ان لشوقي في شعره الغنائي والروائي وفي نثره (في الترسل والرواية) خصائص اصيلة مطبوعة بشخصيته وجارية على سليقته ومعروفٌ بها اسلوبهُ .

خصائص المعنوية : يمثل شوقي في شعره حياة امة كاملة في جيل كامل ، فشعره من اجل ذلك متعدد الاغراض — تعدد حاجات هذه الامة في هذا الجيل . ثم ان شوقي جلا تاريخ الشرق كله وتاريخ العرب والاسلام باجمعه فاتسعت دائرة اغراضه اتساع هذا التاريخ الحافل بالمجد والفتح المبين والمنثور بالمآسي وتقلب الدول . بعد ذلك انثنى شوقي الى العصر الحديث خاصة في الشرق والغرب وعند العرب وغير العرب فتناول كثيراً من مظاهره ؛ وحسبك ان نشير هنا الى اشهر اغراضه الكبرى : تاريخ الاسلام ، مولد الرسول ، تاريخ مصر من فرعون الى فاروق (في امارة العهد) ، الحروب العثمانية والاحداث التركية الحديثة ، المرأة العربية والتركية ، العلم والمعلم والازهر ، العمال ، الطيران في الشرق والغرب ، الغواصة ، الانتحار ، بنك مصر ، ارسطو ، الهلال الاحمر والصليب الاحمر ، باريس ، نكبة دمشق وزلزال اليابان ، المرقص والخمر ، تابليون ، طابع البريد ، الى ما هنالك من الاغراض التي يحفل فيها العصر الحديث.

لم يكن شوقي غواصا على المعاني كابي تمام وابن الرومي ولم يكن شاعراً وجدانياً خالصا كعمر ابن ابي ربيعة وابي فراس وانما كان كما قال هو عن نفسه :

رُبَّ جارٍ تلفتت مصرُ تولي ه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معزياً بتآقي وطني او مهنئاً بلسانه
كان شعري الغناءَ في فرح الشر قِ وكان العزاءَ في احزانه

فهو شاعر مصور «ما» حوله ومعبر عن شعور «من» حوله ، يتناول المعاني القريبة البارزة الشائعة يكسوها روحا نبيلا وديباجة جميلة ، فشعر شوقي قريب من النفوس لان اغراضه ومعانيه قريبة من النفوس . ان امجاد الشرق وفتوح العرب وسنا الاسلام ، كل هذه خلعت على شعر شوقي بهاء وجذبت اليه القلوب .

ولقد كان شوقي شاعراً عالميا على اعتبار انه تناول في شعره اغراضا اوسع من البيئة التي ولد فيها ، حتى انه كان اذا تناول موضوعا مصريا عالجه معالجة واسعة الافق بعيدة المرمى . ويظهر بجلاء ان شوقي كان اكثر حرية في تناول الموضوعات العالمية ، وحسبك ان تعلم ان «مشهورات» شوقي و «قلائده» انما هي «اندلسياته» و «شامياته» .

وهاك اشهر خصائصه المعنوية :

(١) ارستقراطيته في الشعر — شوقي ارستقراطي النزعة في شعره ينظر الى الدنيا من عل ، ولم ينحدر يوما ما بشعره الى ارضاء الدهما ، مع ان شعره كان يرضيهم من غير ان يفقهوه تماما .

(٢) شاعر مطبوع — ولا شك في ان شوقي شاعر مطبوع كعمر وابي نواس والبحتري وابن الرومي ، اجاد في كل فن طرقه سواء أأطال فيه ام لم يطل .

(٣) سعة الاطلاع — ومع انه كان شاعراً مطبوعاً فانه لم يهمل الاطلاع على كل ما مر به في دهره ، فاذا اراد النظم في موضوع ما استعد لذلك بدراسة واسعة [1] .

(٤) معانيه وتوليدها — «تنسب عظمة شوقي الى اجادة المعنى اكثر من نسبتها الى اجادة اللفظ ... ويفوق شوقي شعراء زمانه ومن قبلهم ، بعد القرن الرابع (الهجري) باكثاره من المعاني المبتكرة ... او المولدة توليداً بديعاً ...» [2] ولكنه على كل حال معتدل في تجدده (جميل ٨٨)

(٥) المبالغات — ومصطفى صادق الرافعي يتهم شوقي بالمبالغة ويستشهد على ذلك بقول شوقي في رثاء مصطفى كامل :

---

(١) ص ٣٢٠ ، ٣٣٥ ؛ شوقي لانطون الجميل ٨٤-٨٨

(٢) ص ٣٢٠ ، ٣٢٢

او كان يُحمل في الجوانح ميِّتٌ حملوك في الاسماع والاجفـان

ثم يحمل عليه ، والرافعي من المتحاملين على شوقي ؛ ولكن المازني وزكي مبارك مثلا تابا من التحامل عليه (ص ٣١٤) اما الرافعي فلم يتب . والواقع ان شوقي كان يتملح بتلك المبالغات التي تقتضيها اغراضه الدينيـة والسياسية والقومية .

(٦) طول النفس — وشوقي ميال الى اطالة القصائد في جلاء الموضوعات التاريخية خاصة فان قصيدته الكبرى « دول الاسلام » تشبه ان تكون ملحمة حسب تعريف بعض المتأدبين عندنا . ثم ان قصيدته « كبار الحوادث في وادي النيل (ديوان ١ : ١-٢٠) » تبلغ مائتين وتسعين بيتا ، وقصيدته « صدى الحرب (ديوان ١ : ٣٠-٤٧) تبلغ مائتين وسبعة وستين بيتا وقصيدته « نهج البردة (ديوان ١ : ٢٤٠-٢٥٨) » نحو مائتي بيت .

(٧) اعتداده بنفسه — سلك شوقي ، فيما سلك ، مسلك ابي تمام والمتنبي وجاء شعره في تلك المرتبة السامية فكان خليقاً ان يعتد بنفسه ويتعاظم مفتخراً بشعره في الاكثر وبنفسه في الاقل :

* رواة قصائدي ، فاعجب لشعرٍ بكل محـلة يرويـه خلقُ
* وقد سبقت ركائبيَ القوافي مقلـدةً ازِمّتهـا طِرابـا
تجوب الدهر نحوك والفيافي وتقتحم الليالي لا العُبابـا
* احرام على (بلابله) الدو ح حلال للطير من كل جنس ؟
* سبق القريضُ اليك كل مهنىً من شاعـر متفرّد سبّاق

وكان شوقي — مع خوفه من النقد احيانا — قليل « الاكتراث بتعارف المتأدبين والنقاد عندما ينظم (ص ٣١٧) » . ولم يَرُدّ شوقي على من هاجمه في الصحف او في المجالس الا بالتغاضي عنه استقلالا لشأنه ، او بالاحسان اليه ستراً على حاله .

(٨) لباقته — ومع ان شوقي كان كثير الاعتداد بنفسه بادي الرأي في الحياة باتجاهه الديني والقومي فانه كان لبقـا في تصريف اغراضه : مـدح أناسا ولم يغضب خصومهم ، ومدح الاسلام وانتقد المسلمين واجاد وصف المسيح وعاتب بعض المسيحيين ، وقال في الشعر الديني وفي الخمر على السواء . فلم يستأ منه احد . واغلب الظن ان شوقي

بلغ في حياته مرتبة اقر له بها الناس ، وانقلبت اعتقادهم نحوه اعجابا واذعانا لشاعريته .

(٩) العنصر الغربي — اجاد شوقي التركية والفرنسية واكثر من الاطلاع على ما فيها من ادب اصيل او منقول اليهما . وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الادبين العربي والغربي من حيث المعاني والاسلوب تضيق عنها هذه الدراسة ؛ ولكن يجب ان نشير اشارة خفيفة الى رواياته خاصة ، والى بعض قصائده التي تناولت مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية في الغرب والى بعض الاراء المنبثة في سائر شعره .

خصائصه اللفظية : من الناس من يعتقد بان شوقي كان من الناحية اللغوية ضعيفا على الرغم مما توصل اليه في اواخر ايامه من البراعة في العلوم العربية ، وهم يفضلون عليه حافظ ابراهيم . ولقد اصاب احمد الاسكندري حينما قال (ص ٣٢٠) : « تنسب عظمة شوقي الى اجادة المعنى اكثر من نسبتها الى اجادة اللفظ » .

(١) **الالفاظ** — يظهر ان شوقي كان في شعره المتأخر « واقفا على اسرار العربية ، عارفاً بفرائد الفصحى مميزاً بين معسولها ومرذولها » ميالا الى الالفاظ الحلوة السهلة الا انه قد يضطر احيانا — اذا اطال — الى استعمال الكلمات الغريبة في القافية او في غير القافية . وقد يأتي بالفاظ عامية (ص ٣٩٨—٤٠٠) .

ومن ميزات شوقي انه يحسن سياقة الاعلام العربية والعجمية في شعره ، وقد يكثر منها فلا تنفر في اللسان او الاذن او الذوق :

* قف (بطوكيو) وطف على (يوكوهامه) وسل القوميتين كيف القيامه
* واحمل (بساقك ربطة) في (لندن) واخلف هناك (غراي) او (كمبيلا)
* لك الاصل الذي نبتت عليه فروع المجد من (كرنارفونا)

ومن حسن سياقة الاعلام قوله (ديوان ١ : ٢٢)

خير الابوة حازهم لك (آدم) دون الانام واحرزت (حواء)
وعليه من نور النبوة رونق ومن (الخليل) وهديه سيماء
اثنى (المسيح) عليه خلف سمائه وتهللت واهتزت (العذراء)
يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه (بمحمد) وضاء

والآى تترى والخوارق جمة (جبريل) روّاح بها غداء

ويتبع الالفاظ تعابير طبعها شوقي بطابعه كقوله :

(والمحرية الحمراء) باب بكل يد مضرّجة يدقّ

قم في (فم الدنيا) وحي الازهرا . . . . . .

(٢) تراكيبه — يقول محمد كرد علي (ص ٤٢٨ و ٤٣٣) : « لم يخرج شوقي على اساليب العرب وقوالبهم في شعره » . . . وما كان يعجز عن الباس كل معنى اللباس الذي يحاول ان يكسوه به » . والذي نلاحظه ان شوقي كان على العموم ضعيف التركيب في مطلع حياته ، ولكنه اخذ فيما بعد « يحكك » شعره ويتكلف صياغته حتى جعله شعراً جميلا عذبا ذا ديباجة رائعة ، واخرجه في التركيب الاعرابي المتين :

مرحبا بالربيع في رَيعانه وبانواره وطيب زمانه

رفّت الارض في مواكب آذا ر وشب الزمان في مهرجانه

حسن في اوانه كل شيء وجمال القريض بعد اوانه

(٣) اوجه البلاغة — نبغ شوقي في عصر كانت المحسنات اللفظية اعظم عدة للاديب والشاعر فاخذ منها بقدر ولكنه مال الى « المعاني » ثم اخذ « بالصناعة المعنوية » فاجاد الوصف والتصوير في قوالب قديمة : « وانزل كما تنزل الطل الرياحينا (ديوان ٢ : ١٢٩) » فانها من قول وضاح اليمن : « فاسقط علينا كسقوط الندى » ؛ او في قوالب جديدة كوصفه للطلاب الصغار في المدرسة (ديوان ٢ : ١٨٢—١٨٣) :

لهم جرسٌ مطرب في الذرا ح ، وليس اذا جدّ بالمطرب

توادت به ساعة للزما ن على الناس دائرة العقرب

تشول بابرتها الشبا ب وتقذف بالسم في الشُيَّب

وتلك الاواعي بأيمانهم حقائب فيها الغد المختبى

ففيها الذي ان يقم لا يعدْ من الناس او يمض لا يحسب

وفيها اللواء وفيها المنا ر وفيها التبيع وفيها النبي

على ان مصطفى صادق الرافعي ينسبه الى الضعف البياني والى انه لما اغرق (في

المعاني) احال شعره الى صناعة هي شر من الصناعة اللفظية (راجع ص ٤٨٨ - ٤٩٢) . وما اقل ما يقدح مثل هذا في مثل شوقي ؛ فان الرافعي منشئ آلى يحسن رصف الكلمات والتعابير في فوضى موسيقية !

(٤) موافقة شعره للغناء — ان الرقة والعذوبة والعاطفة الشائعة في شعر شوقي جعلته كثير الموافقة للغناء ؛ ولقد تساوى في ذلك اكثر شعره . فان اشعاره التي غنيت فعلا : « ليلى ، منادٍ دعا ليلى فخف له . . . » (مجنون ليلى) ، و « انا انطونيو وانطونيو انا » (مصرع كليوباترا) ؛ ثم هنالك الاغاني التي اخذت من قصائد شوقي نحو : « خدعوها بقولهم حسناء » او « ياجارة الوادي » . وهنالك مقطعات شوقي في الغزل وقد غني في اكثرها : « ردت الروح على المضنى معك . . . علموه كيف يجفو فجفا . . . »

وفي اغاني شوقي عاطفة شائعة في الانسانية كلها فهي من اجل ذلك قريبة من كل قلب .

المآخذ على شوقي : استدرك النقاد على شوقي اشياء كثيرة كما استدركوا مثلها واكثر منها على من جاء قبله وكما سيستدركون مثلها واكثر منها على من سيجيء بعده . ولكن ليس من الانصاف ان نقف منها موقف مصطفى صادق الرافعي : موقف عداء حاد وعناد على غير سواء السبيل . ان اول نظرة الى ديوان شوقي تدل على ان الشاعر كان في ايامه الاولى كثير السقطات ولكن الانصاف يقضي ان نقول مع احمد الاسكندري (ص ٣٢٢) : « ولعل (لشوقي) من العيوب الفنية والاخطاء النحوية واللغوية ما يستنفد عشرات الصفحات . . . (ولكنه) مكرمة من مكارم الشرق وحسنة من حسنات الادب العربي .

ان في شعر شوقي تكراراً وضعفاً في التركيب كقوله (ديوان ٢ : ٢٠٢) :

لا تقولوا شاعر النيل غوى (من يغالط نفسه لا يعتبر
موقف التاريخ من فوق الهوى ومقام الموت من فوق الهذر
ليس من مات بخاف عنكم او قليل الفعل فيكم والاثر)

٤ — فنون شوقي

كان شوقي — كابي تمام — حريصاً على آثاره كلها لم يُضع منها شيئاً ولم يُسقط من اشعاره بيتاً ؛ ولكن بعضها ضاع اتفاقاً كالقسم المتعلق بالمديح من قصيدة « خدعوها بقولهم حسناء » . وشعر شوقي اعظم كثيراً من نثره وان كان له في النثر اشياء مستجادة .

شعره : جرى شوقي في شعره على اساليب المتقدمين واولج اغراضه في ابوابهم : في المديح والرثاء والوصف والتحليل والنسيب والغزل وفي الدينيات ؛ ولكن الدارسين اطبقوا على انه لم يقل في الهجاء والمجون والتزهيد في الدنيا شيئاً (ص ٣١٩، ٣٣١ والجميل ٢٦، ٨٢) . على اننا لا ندرس شعر شوقي على اساس ابوابه في المديح والرثاء والغزل كما ندرس مثلا شعر جرير والبحتري ، فشوقي وافق المتقدمين في اغراضهم ولكن خالفهم في تخريج تلك الاغراض من ذلك انه (١) افتخر بشعره و (٢) مدح السلطان عبد الحميد وهنأه ، ومدح الخديوي توفيقاً و (٣) رثى كثيرين منهم آله : جدته ووالدته وابوه ؛ واكثر الادباء كاسماعيل صبري وقاسم امين والمنفلوطي وحافظ ابراهيم ؛ ثم رجال النهضات القومية كالسلطان حسين ومصطفى كامل وسعد زغلول وفوزي الغزي وغيرهم من الذين تركوا اثراً ما في الحياة العربية كالمغفى سيد درويش والشيخ سلامة حجازي . و (٤) نَسَب وتغزل كثيراً في مقطعاته (ديوان ٢ : ١٣٩ — ١٨٠) اكثرها مُصرَّع مما يدل على انها نظمت مقدمات لقصائد لم تتم او انها نظمت معارضات تامة . وقد نظم بعض هذه في مقطعات تامة لتكون اغاني . ان الرقة والمقدرة تظهران على غزل شوقي ونسيبه ولكن العاطفة الصحيحة « عليها رقيب » من بلاط الخديوي ومن البيئة الاجتماعية . على ان بعض شعره المتأخر :

شيّعتُ احلامي بقلب باكٍ ... ولمست من طرق الملاح شباكي
ورجعت ادراج الشباب ووَرده ... امشي مكانهما على الاشواك
لم تَبْقَ منا يا فؤادُ بقيةٌ ... لفتوّة او فضلة لعراك

كنـا اذا صفقت نستبق الهوى ونشد شد العُصبـة الفتاك

يدل على انه « بلغ ما بلغ امرؤ بشبابه » ولكنه لم يكشف عن ذلك في شعره الاول . والمتواتر ان شوقي كان في هذا الباب جواداً مجلياً .

*

ونحن ندرس الآن شعر شوقي على اساس « الصُوَر الكبرى » التي جعلها شوقي غاية في شعره ، وجعل « ابواب الشعر » من مديح ورثاء ومن وصف وغزل سبيلا اليها وديباجة لها . ثم ان شوقي شاعر « اجتماعي » لا شـاعر « فردي » فيجب ان نتطلب في شعره صورة المجتمع — كما ارادها هو — لا ان نحاول جلاء شخصيته هو .

١ . **الصورة الدينية** : يهمنا هنا « صورة الدين » في شعر شوقي وهي صورة مزدوجة احد وجهيها معارضة المتقدمين كنهج البردة والهمزة النبوية فانهما معارضتان للبردة والهمزية للبوصيري ، وقد اراد شوقي ان يجري في عنان البوصيري في الوزن والروي والغرض ، ولكن بعقليـة عصرية مثقفة ، ويتجاوز غرض البوصيري في « الرسول صلى الله عليه وسلم » الى الاسلام والمسلمين الذين اهتدوا بهديه (ديوان ١ : ٢١ وما بعدها) :

وُلد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّمٌ وثنـاء
ياخير من جاء الوجودَ تحيةً من مُرسلين الى الهدى بك جاءوا
هم ادركوا عز النبوة وانتهت فيهـا اليك العزة القعساء
اثنى (المسيح) عليك خلف سمائه وتهللت واهتزت (العذراء)
الخيل تأبى غير احمد حامينـاً وبها اذا ذُكر اسمه خُيلاء
شيخ الفوارس يعلمون مكانه ان هيّجت اسادهـا الهيجاء
ساقي الجريح ومطعم الاسرى ومن امنت سنابك خيله الاشلاء
ان الشجاعة في الرجال غلاظة ما لم تزنهـا رأفة وسخاء
والحرب من شرف الشعوب فان بغَوا فـالمجد ممـا يـدعون بَراء

اما الوجه الثاني من الصورة الدينية فهي التي رسمها شوقي في شعره حراً طليقا . ان شوقي يعتز بالاسلام ايماناً واعتقاداً ويجلو نواحي عظمته التاريخية والسياسية والفقهية باوسع المعاني : « كل المروءة ، في الاسلام ، والحسب » (ديوان ١ : ٤٨) . فالقرآن الكريم والرسول والخلافة والخلفا. الاولون والتابعون لهم ، كل هؤلا. كانوا موضع فخر في شعر شوقي (ديوان ١ : ١٥)

تلك آي الفرقان ارسلها الا ... ه ضياء يهدي به من يشا. .
نَسخَت سنّةَ النبيين والرسـ ... ـل كما ينسَخُ الضياء الضياء
وحماها غُر كرامٌ اشدّا ... ء على الخصم بينهم رحما.
امة ينتمي البيـان اليهـا ... وتؤول العلوم والعلمـا.
أيرى العُجم من بني الظل والما ... ء عجيبا ان تنجب البيدا.
وتثيرُ الخيامُ آساد هيجا ... ء تراهـا آسادَها الهيجا.
ما انافت على السواعد حتى الـ ... ـارض طُرّا في اسرها والفضا.
تشهد الصين والبحار وبغـدا ... دُ ومصرٌ والغرب والحمرا.

وذكر شوقي الاديان الاخرى ذكراً مختلفا : اما المجوسية فاشار اليها اشارة طائرة واما اليهودية فاكثر الاشارة اليها ؛ اما النصرانية فوقف عليها وقوفاً طويلا (ديوان ١ : ١٢ — ١٣ ، ٧١ ، ٢١٢—٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٨٧ — ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣٤٠، ٣٥٠ الخ)
ولكن حسبك قطعة تعرف منها موقفه كليها ؛ قال في عام ١٩١٢ يستعرض دخول البلغار الى ادرنة (ديوان ١ : ٢٩٠ — ٢٩١) :

عيسى ، سبيلك رحمـة ومحبة ... في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاكَ الدما. ولا امرأ ... هـان الضعافُ عليه والايتام
ياحامل الآلام عن هـذا الورى ... كثرت عليه باسمك الآلام
انت الذي جعل العبـاد جميعهم ... رحماً ، وباسمك تُقطعُ الارحام
انت القيامة في ولاية « يوسف » ... واليومَ باسمك مرتـين تُقام
كم هاجه صيدُ الملوك وهاجهم ... وتكافأ الفرسان والاعلام

البغي في دين الجميع دنيئةٌ والسلم عهد والقتال زمام
واليوم يهتف بالصليب عصائب هم للآله وروحه ظلام
خلطوا صليبك والخناجر والمدى كلٌّ اداة للاذى وحمام
او ما تراهم ذبحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم اغنام
كم مُرضَعٍ في حجر نعمته غدا وله على حد السيوف فطام
وصبية هتكت خميلة طهرها وتناثرت عن نَوره الاكمام
واخي ثمانين استُبيح وقاره لم يُغن عنه الضعف والاعوام
وجريح حرب ظامىء وأدوه لم يعطفهمُ جرحٌ دمٍ وأُدام
ومهاجرين تنكّرت اوطانهم ضلوا السبيل من الذهول وهاموا
السيف ان ركبوا الفرار سبيلُهم والنِطع ان طلبوا القرار مُقام
يتلفتون مودعين ديارهم واللحظ ماءٌ، والديار ضرام.

٢. الصورة القومية الوطنية: الاسلام يقضي بان «حب الوطن من الايمان» وحب شوقي لوطنه مصر وللبلدان الاسلامية والعربية بادٍ في قصائده مشهور. والغالب في فلسفة شوقي القومية اتساع الافق وبعد النظر (ديوان ١: ٢٤٣، ٣: ٣٤)

* بيني وبينكِ ملة وكتابها والشرق ينميني كما يُنميكِ
* ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيانٌ غيرُ مختلف ونطقُ
* ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام اخوانُ
* قد قضى الله ان يؤلفنا الجر ح وان نلتقي على اشجانه
كلما أنّ بالعراق جريح لمس الشرقُ جنبه في عُمانه
نحن في الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على اوطانه
* وما الشرق الا اسرة او قبيلة تلم بنيها عند كل مصاب

اما اقواله في «مصر» خاصة فتدور حول العاطفة التي تربط الانسان الى الارض

التي نشأ بها وترعرع : انه يرى جمالها الطبيعي ويشعر بحبها العذب ويكبر مقامها ومستقبلها (ديوان ٢ : ٥٥ ، ١٢٨ و ١ : ٢٨) :

* وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني اليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني ... شخصهُ ساعةً ولم يَخْلُ حسي
* لكنَّ مصرَ وان اغضت على مِقةٍ ... عين من الخلد بالكافور تسقينا
على جوانبها رفت تمائمنا ... وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعبٌ مرحت فيها مآربنا ... وأربُعٌ انست فيها امانينا
* ان الذي قسم البلاد حباكمو ... بلداً كاوطان النجوم مجيداً
قد كان — والدنيا لحود كلها — ... للعبقرية والفنون مهوداً

ولكنه كان يأسى لحالها ويكثر لوم ابنائها (٢ : ٩٢ — ٩٣) :

وطني اسفت عليك في عيد الملا ... وبكيتُ من وجدٍ ومن اشفاق
لا عيد لي حتى اراك بامة ... شماء راوية من الاخلاق
ذهب الكرام الجامعون لامرهم ... وبقيت في خَلَف بغير خلاق
أيظل بعضهم لبعض خاذلا ... ويُقال : شعبٌ في الحضارة راق
واذا اراد الله اشقاء القرى ... جعل الهداة بها دُعاةَ شقاق

وقد يشتد شوقي في اللوم والتأنيب والتعنيف (راجع ديوان ١ : ٢٩ — ٢١٣).

٣ . الصورة السياسية والحربية : ويصور شوقي السياسة الخارجة عن نطاق ابناء الوطن الواحد فيتناول المعارك بانواعها والمؤتمرات السياسية . وشوقي هنا يجيد الوصف اكثر من ابي تمام والمتنبي لاستخدامه الوان الحضارة الحديثة من حيث الخيال ولكنه يقصر عنهما من حيث العظمة والخبرة ؛ قال يصف هزيمة اليونان على سهل طرناو (ديوان ١ : ٤٠ — ٤١) :

ونادى منادٍ للهزيمة في الملا ... وان منادي الترك يدنو ويقربُ
فاعرض عن قواده الجندُ شارداً ... وعلمه قواده كيف يهرب
وطار الاهالي نافرين الى الفلا ... مئين وآلافاً تهيم وتَسرُب

نجَوا بالنفوس الذاهلات وما نجوا ... بغير يد صِفر واخرى تُقَلِّب
يسير على اشلاء والده الفتى ... وينسى هناك المُرضِعَ الام والاب
تكاد خطاهم تسبق البرقَ سُرعةً ... وتذهب بالابصار أيان تذهب

ولما تطورت اساليب القتال قال (١٩٢٦ م) في نحو الموضوع نفسه :

اذا رُمنَ السلامة من سبيل ... اتت من دونه للموت طُرقُ
بليلٍ للقذائف والمنايا ... وراء سمائه خطف وصعق
اذا عصف الحديد احمرّ افقٌ ... على جنباته واسودّ افق

وانتصر الاتراك على اليونانيين في آسية الصغرى (١٩٢١ م) فقال شوقي يصف الهدنة ومؤتمر الصلح بعدها (ديوان ١ : ٤٨-٤٩) :

الله اكبر، كم في الفتح من عجب ! ... ياخالد التركِ جدد خالد العرب
صلح عزيز على حرب مظفرة ... فالسيف في غمده والحق في النصب
سئلت سلما على نصر فجدت به ... ولو سئلت بغير النصر لم تجب
مشيئة قبلتها الخيل عاتبة ... واذعن السيف مطوياً على غضب
منحتهم هدنة من سيفك التُمِسَتْ ... فهبْ لهم هدنة من رأيك الضَرِبِ
اتاهمُ منك في لوزان داهية[1] ... جاءت به الحرب من حيّاتها الرُقب
اصم يسمع كيد الكائدين له ... ولا يضيق بجهد المُحنَق الصَخِب
لم تفترق شهوات القوم في ارَب ... الا قضى وطراً من ذلك الارب

٤ . **صورة المرأة والتربية** : اما الغزل فقد مر الكلام عليه .

عاصر شوقي الدعوة الى تحرير المرأة ، فانعكس من ذلك شيء في شعره، ولكنه كان معتدلا في الدفاع عنها يرغب لها ما كان يتمتع به النساء في صدر الاسلام وفي زهو الدولة العباسية ؛ وزاء يخشى الحضارة الحديثة (ديوان ١ : ١٠٢ — ١٠٣)

اذكرْ لها اليابان لا ... امم الهوى المتهتكات .
ماذا لقيت من الحضا ... رة يا أخيَ التَرِهات ؟

---

(١) كان عصمت باشا يمثل تركية في مؤتمر لوزان ، وكان في عصمت صمم .

لم تلق غير الرق من عُمَر على الشرقي عات !
خذ بالكتاب وبالحديـ ـث وسيرة السلف الثقات
وارجع الى سنين الخلي ـفة واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم ينقُص حقوق المؤمنات
العالم كان شريعة لنسائه المتفقهات
رُضْنَ التجارة والسيا سة والامور الأُخريات
كانت سُكَينة تملأ الد نيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت آيَ الكتاب البيّنات
وحضارة الاسلام تن طق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالما ت ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت امية امُّ الجواري النابغات
ورياض اندلس نَمَيْـ ـن الهاتفات الشاعرات

وقد قال شوقي شيئا في السفور والحجاب (ديوان ١ : ٢١٩ — ٢٢٣) واجاد في نظمه ولكن لم يصرح جهاراً بما يريد .

ولما رثى شوقي قاسم امين زعيم تحرير المرأة (ت ١٩٠٨ م) لم يرد في تصريحه ، قال (٣ : ٨٥) :

ماذا رأيت من الحجاب وعُسره فدعوتنا لترفق ويسار
رأيٌ بدا لك لم تجده مخالفا ما في الكتاب وسنة المختار
اودِدتَ لو صارت نساء النيل ما كانت نساء قضاعة ونزار
يجمعن في سلم الحياة وحربها بأس الرجال وخشية الابكار
ان الحجاب سماحة ويسارة لولا وحوش في الرجال ضواري
جهلوا حقيقته وحكمة حُكمه فتجاوزوه الى اذى وضرار

*

ويتبع « المرأة » في الاجتماع « التربية » فشوقي حريص على تعليم الناشئة (ديوان ١ : ٦١) :

فربَّ صغير قوم علموه ... سما وحمى المسوَّمة العرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً ... ولو تركوه كان اذى وعابا
فعلّم ما استطعت ، امل جيلا ... سيأتي يُحدث العجب العُجابا

والعلم عند شوقي مكانة عظمى : « نشر العلم مثل الجهاد (ديوان ١ : ١٣٣) » ، ولكنه يرى نظام المدرسة فاسداً كنظام البيت ، قال في طالب انتحر (ديوان ١ : ١٤٦ - ١٤٨) :

لا ارى الا نظاماً فاسداً ... فكك العلم واودى بالأُسَر
من ضحاياه وما اكثرها ... ذلك الكاره في غض العُمُر
ما رأى في العيش شيئاً سره ... واخف العيش ما ساء وسر
نزل العيش فلم يلق سوى ... شُعبة الهم وبيداء الفِكَر
ونهار ليس فيه غبطة ... وليالٍ ليس فيهن سمر
ودروس لم يذل قطفَها ... عالم ان نطق الدرسَ سحر
ولقد تنهكه نهك الضنى ... ضُرة منظرها سقم وضر
ويلاقي نصباً مما انطوى ... في بني العلّات من ضغن وشر (١)
اخوة ما جمعتهم رحم ... بعضهم يمشون للبعض الخُمُر (٢)
لم يزفرف مَلَكُ الحب على ... ابويهم او يبارك في الثمر

عالجوا الحكمة واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضل منها في السير
واقرأوا آداب من قبلكم ... ربما علّم حياً من غبر
واغنموا ما سخّر الله لكم ... من جمال في المعاني والصور
واطلبوا العلم لذات العلم لا ... لشهادات وآراب اخر

(١ و ٢) اولاد العلات من كان ابوهم واحدا وامهاتهم مختلفات ، يمشي له الخمر : يكيدله

ورأي شوقي في المعلم خاصة (ديوان ١ : ٢٢٤ — ٢٢٨) مشهور :

قم للمعلم وفّه التبجيلا ... كاد المعلم ان يكون رسولا
اعلمت اشرف او اجل من الذي ... يبني ويشيء انفساً وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم ... علمت بالقلم القرون الاولى
اخرجت هذا العقل من ظلماته ... وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة ... صدئ الحديد وتارة مصقولا
ارسلت بالتوراة موسى مرشداً ... وابن البتول فعلم الانجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً ... فسقى الحديث وناول التنزيلا

على ان شوقي يرى ان « التربية على الاخلاق » خير من « التربية بالعلم » ويردد ذلك في اماكن مختلفة من ديوانه نذكر منها (ديوان ١ : ٣٢ ، ٤٩ ، ٢٢٧) .

* كذا الناس ، بالاخلاق يبقى صلاحهم ... ويذهب عنهم امرهم حين تذهب
* وما السلاح لقوم كل اهبتهم ... حتى يكونوا من الاخلاق في اهب
ولا المصائب اذا يرمى الرجال بها ... بقاتلات اذا الاخلاق لم تصب
* وليس بعامر بنيان قوم ... اذا اخلاقهم كانت خرابا
* بنيت لهم من الاخلاق ركناً ... فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
* واذا اصيب القوم في اخلاقهم ... فاقم عليهم مأتماً وعويلا

وله في ذلك المثل السائر :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

حاول شوقي الاصلاح من طريق « الشعر التهذيبي » الذي طرقه في مطلع حياته ونظم فيه خرافات مشهورة على السنة الحيوان من ايزوب اليوناني او من كليلة ودمنة او من مطارح خياله هو . ولقد قصد من ذلك عظة الحكام وتهذيب العامة مع شيء من الهزل ، اما اغراضه فمختلفة . ومن اشهر خرافاته هذه :

كان للغربان في العصر مليك ... وله في النخلة الكبرى اريك
جاءه يوماً نذورُ الخادمُ ... وهو في القصر الامين الحازم
قال : « يافرع الملوك الصالحين ، ... انت ما زلت تحب الناصحين .

سوسة كانت على القصر تدور ... جازت القصر ودبت في الجذور
فابعث الغربان في اهلاكها ... قبل ان تهلك في اشراكها ! »
ضحك السلطان من هذا المقال ... ثم ادنى خادم الخير وقال :
« انا رب الشوكة الضافي الجناح ... انا ذو المنقار غلاب الرياح
انا لا انظر في هذي الامور ... انا لا ابصر تحتي يا ندور ! »

. . . . . .

٥ . « الصورة » المطلقة : وهذه تتناول وصف الطبيعة او ما يتعلق بالطبيعة وتتناول التحليل النفسي ايضاً . يرى الرافعي (ص٤٩٢ — ٤٩٣) ان شوقي « صاحب الآيات البديعة في الوصف ، وهذه الناحية هي اقوى نواحيه » .

والوصف ناحية بارزة في شعر شوقي ، ولكن شوقي مكثر من الوصف الخيالي الذي يسبغ على الآثار الباقية ذكريات خالية فهو في ذلك اشبه بالبحتري منه بابن الرومي . ثم انه في وصفه الحسي « مثالي » لا « واقعي » وهو يتأثر بالشعراء العباسيين الذين بنوا اوصافهم على التشابيه والاستعارات والكنايات ؛ قال وهو يدخل دمشق (ديوان ٢ : ١٢٣) :

جرى وصفق يلقانا بها بَرَدى ... كما تلقاك دون الخلد رضوانُ
دخلتها وحواشيها زمردة ... والشمس فوق اُجين الماء عقيان
والحور في دُمَر او حول هامتها ... حُورٌ كواشف عن ساقٍ وولدان

وهذا الوصف قليل عند شوقي ، حتى ان الذين تكلموا عليه تعثروا حين ارادوا الاكثار من الامثلة . ويقرب من هذا وصف الخمر مثلا (٢ : ٨ ، ٩٢)

* حف كأسها الحببُ ... فهي فضة ذهبُ
* ضحكت اليَّ من السرور ولم تزل ... بنت الكروم كريمةَ الاعراقِ
هات اسقينها غيرَ ذات عواقب ... حتى تُزاعَ اصيحة الصفّاق
صرفا مسلطة الشعاع كأنما ... من وجنتيك تدار والاحداق
حمراء او صفراء ان كريمها ... كالغيد كل مليحة بمذاق

اما في الوصف الخيالي فقد قال شوقي في خروج العرب من الاندلس (٢ : ٦٠) :

آخر العهد بالجزيرة كانت ... بعد عرك من الزمان وضرس [1]
فتراها تقول : رايـة جيش ... باد بالامس بين اسر وحس [2]
ومفاتيحها مقاليد مُلك ... باعها الوارث المُضيع ببخس
خرج القوم في كتائب صُمّ ... عن حفاظ كموكب الدفن خُرس
ركبوا بالبحار نعشاً وكانت ... تحت آبائهم هي العرشَ امس
رب بانٍ لهادم وجموع ... لمضيع ومُحسن لمُخِسّ

والتحليل النفسي — كما نعرفه عن ابن الرومي — نادر عند شوقي لان عبقرية شوقي الصق بالتراث المفعم وبالمعاني المشهورة منها بتحليل الصورة المجردة والوقوف على خبايا الانفس — وشوقي شاعر اجتماعي في الدرجة الاولى — على ان له شيئاً من التحليل مستجاداً (ديوان ٢ : ١٨٧ — ١٨٨) :

وأغنّ اكحلَ من مها بكفيفة ... علقت محاجره دمي وعلقته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فاثبت دون طريقه فزحمته
فازور غضبانا واعرض نافراً ... حالٌ من الغيد الحسان عرفته
فصرفت تلعابي الى اترابه ... وزممتهن لبانتي فاغرته
فمشى اليّ وليس اول جؤذر ... وقعت عليه حبائلي فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادني ... واتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته

٦ . صورة الادب والحكمة : يريد بعضهم ان يرى في شعر شوقي فلسفة (ص ٣٦٢) ويحاول الدكتور منصور فهمي (ص ٤٦٤ — ٥٠٢) اكراه الفلسفة على الظهور في ديوان شاعرنا . وكل ما في الامر ان شوقي نثر بعض الآراء « الاجتماعية » الصائبة هنا وهنالك من ديوانه ؛ فحكمته من هذا القبيل اشبه بما ورد عند بشار والي نواس وابن الرومي واقل شبها بما رأينا عند ابي تمام والمتنبي وبعيدة جدا عما عرفنا

(١و٢) ضرس : اشتداد . حس : قتل .

في لزوميات المعري ، وليس لها صلة بمقاييس الفلسفة الصحيحة عند ارسطو وابن رشد ؛ فمن نظرات شوقي الاجتماعية (ديوان ١ : ٤) وحكمه الجميلة (ديوان ١ : ٢٢١ — ٢٢٢) :

* ان ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء .
يسكن الوحش للوثوب من الاسـ . . ر فكيف الخلائق العقلاء ؟

* يا طير والامثال تضـ . . رب للبيب الامثل
دنياك من عاداتها ألا تكونَ لاعزل
او للغبي وان تعلـ . . لَى بالزمان الاول
جُعلت لحرٍ يُبتلى في ذي الحياة ويبتلي

بقي هنالك خطرات في الاخلاق — وقد مر الكلام عليها — وفي الدين والنفس والحكومة والشورى والاستبداد مبثوثة في الديوان والروايات لا تؤلف نظاما فلسفيا ولا اراد شوقي ان يجعل منها نظاما . ثم انه كان في كل ذلك معتدلا في ايرادها وفي التعبير عنها مائلا الى المحافظة على ما الفته البيئة الاجتماعية الدينية في الاكثر ، من ذلك قوله في اختلاف بعض الفقهاء في الاسراء والمعراج (ديوان ١ : ٢٦) :

يتساءلون وانت اطهر هيكل بالروح ام بالهيكل الاسراء ،
بهما سريت مطهرين كلاهما نور وروحانية وبهاء .

نثره : عرفنا نثر شوقي في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه (١٨٩٨ م) وفي مقدمات بعض قصائده (ديوان ٢ : ٥٢ — ٥٤ ، ٧٥ — ٧٦ ، ٧٧ — ٧٧) وفي اسواق الذهب (١٩٣٢ م) ورواية اميرة الاندلس (١٩٣٢) ، وخصائص نثره في هذه الآثار كلها واحدة في اساسها وان كانت في اسواق الذهب اشد تكلفاً وفي اميرة الاندلس اجرى على السجية .

شوقي مترسل في نثره يتأنق في اختيار الفاظه ويوازن بين تراكيبه وجمله ، ويتطلب الصناعة المعنوية اكثر من الصناعة اللفظية ، وهو يجيد التسجيع ويصيب اماكنه . وعلى نثر شوقي ديباجة من شعر حتى ان الوزن ليسبق اليه احيانا ، قال (اسواق الذهب ٤٩ — ٥٠) : « الشباب ايام آذار ، ودولة العذار ، واعنة الاوطار ، وليلة العرس في

هذه الدار . . . اروع الشهرة ما طار في سمائه ، وامتع الصيت ما سار تحت لوائه ، واحسن الثناء ما اتى في اثنائه ، ورف على قشيب شبابه » .

اما في مقدمات بعض القصائد فان شوقي اقل تأنقاً وتكلفا ، قال في رحلته في الاندلس (٢ : ٥٢) : « لما وضعت الحرب الشؤمى اوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك ازارها ، ورم لهم ربوع السلم وجدد مزارهـا ، اصبحت والعوادي مقصرة ، والدواعي غير مقصّرة ، واذا الشوق الى الاندلس اغلب ، والنفس بحق زيارته اطلب ، فقصدته من برشلونة وبينها مسيرة يومين بالقطار المجد ، والبخار المشتـد ، او بالسفن الكبرى والخارجة الى المحيط . . . . »

ومع ان شوقي قد حاول ان يتحرر في « اميرة الاندلس » من قيود الترسل ليجري في معالجة الموضوع على السجية ، فان الصناعة المصنوعة لم تفارقه ولا السجـع احيانا (ص ١٦) : « كان يقول : قرطبة . . . ملك جديد اضيف الى ملك اشبيلية ؛ ما اصغر المضاف والمضاف اليه . انظر ، ابن عباد ، الى العرش كيف صَغُر ، والى الصولجان كيف قصر ، والى الملك كيف اختصر ، وتأمل مكان الحكم في قرطبة كيف شد اليوم بالمعتمد ، ومجلس الناصر كيف شغل بابن عباد » .

رواياته : (راجع تحدر الادب التمثيلي الى شوقي في الكلمة الاولى) .

ترجع فكرة التأليف المسرحي عند شوقي الى ايام دراسته في فرنسة ولا شك في ان بعض رواياته (علي بك الكبير وكليوباترا) تعود بفكرتها وبعض اقسامها الى ذلك العهد ، ويظهر ان بعضها الآخر (مجنون ليلى واميرة الاندلس) حديثـة العهد ، ولعل (عنترة وقمبيز) احدثها عهداً بالوضع او بالتنقيح الاساسي لان شوقي ادخل على هاتين الروايتين خاصة بعض الاصلاحات الفنية من ناحية التمثيل — كقلة عدد الفصول وكثرة المشاهد والمناظر وجعل الحوار اقصر ، ثم التقيد بمقتضيـات المسرح من حيث سياقة المعنى وفي الملائمة بين النظم والحوار المسرحي بعد ان كان في رواياته الاولى (نحو كليوباترا ومجنون ليلى) اميل الى فكرة « القصيدة » . فشوقي شاعر في رواياته الاولى اكثر منه روائياً . — وهاك ملخصا لحوادث هذه الروايات : —

١ — مصرع كليوباترا — مأساة — ١٩٢٩

استطاعت كليوباترا — آخر اباطرة البطالسة على عرش مصر — ان تأسر بجمالها القائد الروماني انطونيوس فيخون وطنه ويحارب تحت لوائها اكتافيوس قيصر في موقعة اكتيوم البحرية (غربي اليونان) عام ٣١ ق.م وفي معركة الاسكندرية البرية (٣٠ ق.م) ولكنه هزم. ويزعمون لانطونيوس ان كليوباترا ماتت فينتحر. حينئذ تحاول كليوباترا ان تقنص اكتافيوس بشباكها فلا تنجح ويتصل بها نبأ الانهزام وانتحار انطونيوس، ويعز عليها ان يحملها اكتافيوس الى روما اسيرة — على عادة الرومان آنذاك — فتنتحر فعلاً بلدغة ثعبان.

(هدف شوقي) — يرمي شوقي من رواية كليوباترا الى اظهار عظمة مصر على رومية وعظمة كليوباترا ومقدرتها السياسية مع اخلاصها لمصر (ص ١٥ — ١٦):

كنت في مركبي وبين جنودي ... ازن الحرب والامور بفكري
قلت روما تصدعت فترى شط ... راً من القوم في عداوة شطر
بطلاها تقاسما الفلك والجي ... ش وشبا الوغى ببحر وبر
فتأملت حالتي مليا ... وتدبرت امر صحوي وسكري
وتبينت ان روما اذا زا ... لت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف، سللت شراعي ... منه فانسلت البوارج إثري
خلصت من رحى القتال ومما ... يلحق السفن من دمار واسر
ونسيت الهوى ونصرة انطونيو ... س حتى غدرته شر غدر
والذي ضيع العروش وضحى ... في سبيلي بالف قطر وقطر
موقف يعجب العلى كنت فيه ... بنت مصر وكنت ملكة مصر.

والهدف الثاني انه احب ان «يبرر» موقف كليوباترا في عشقها وانها استخدمته في سبيل مصر (ص ٢٩٤، ١٠٠):

يقولون انثى افنت العمر بالهوى ... بهيمية اللذات والشهوات
كلفت بكهل احرز الارض سيفه ... وحيزت له الدنيا من الجنبات

* اموت كما حييت لعرش مصر وابذل دونه عرش الجمال

وفي الختام يقول شوقي على لسان انوبيس (الكاهن الاكبر) :

قسماً ما فتحتمو مصرَ لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا !

٢ ٠ مجنون ليلى — مأساة — ١٩٣١

قصة مجنون ليلى مشهورة : نشأ قيس وابنة عمه ليلى في بني عامر يرعيان الانعام معاً فاحبها قيس حباً خرج به الى الجنون فتغزل بها واكثر ؛ واحبته ليلى حباكتمته . و كانت « عادة البادية » ان تمنع زواج الرجل بالتي تغزل بها جهراً ٠ ثم ان اهل ليلى زوجوها برجل من ثقيف اسمه وردفجُن جنون قيس وزار ليلى بعد زواجها هذا وانبها وتحدى زوجها ٠ و كانت ليلى لاتزال عند زوجها بكراً ولكنها مرضت مرضا انتهى بها الى الموت ٠ وفي يوم من الايام كان قيس آتياً لزيارة ليلى ففوجىء بخبر موتها ٠ فزار قبرها وتوفي عنده ٠

(هدف شوقي) — يحاول شوقي هنا تصوير البدو في صدر الاسلام مع الاشارة الى سياسة بني امية من الاحزاب ، فيحسن الدفاع عن سياسة بني امية الدنيوية ويكبر موقف العلويين وحكمتهم في هذا العاصف السياسي ويجلو خُلُق الحرائر من النساء . والرواية عاطفية تغلب الناحية الادبية فيها على الناحية المسرحية ٠

٣ قمبيز — مأساة — ١٩٣١

قمبيز — ملك فارس — يخطب نفريت ابنة فرعونَ امازيس ولكن نفريت واباها امازيس يأبيان ذلك ويدافعان وفد الخطبة بالتي هي احسن ٠ واخيراً تقترح نتيتاس (ابنة فرعون ابرياس المقتول) ان تزف الى قمبيز باسم نفريت ٠ ويتصل خبر ذلك بقمبيز بعد الزفاف وفي فارس على يد فانيس (وهو قائد من اليونانيين الذين اكثر فرعون امازيس اصطناعهم واغدق عليهم الهبات ليحارب بهم — فيما زعم — الفرس) فيغضب قمبيز ويعزم على الانتقام لنفسه بغزو مصر ٠ وفي هذه الاثناء يموت فرعون امازيس ويخلفه ابنه بسامتيك ويقع الغزو الفارسي لمصر والتغلب عليها ٠ ويُظهر الفاتح في اول

امره تسامحا ثم يشك في محافظة بساميتك على العهد فيتهدده ويسجنه وينقلب يخرب المدن والقرى ويقتل الرجال والقواد ومنهم فانيس . ويثور غضبه مرة — وكان يصاب بالصرع — فيقتل العجل ابيس (معبود المصريين) ثم ينتحر .

(هدف شوقي) — تصوير القرن السادس ق.م في مصر من عسف الفرس واحتال المصريين هذا العسف جهراً وسعيهم سراً للتخلص منه بضروب من الوطنية الصحيحة والنزة القومية . ثم هنالك رجال الدولة والجيش من اليونان الذين يتمتعون بخيرات مصر ويكيدون لها ومنهم فانيس اليوناني القائد ... تقول الملكة فيه (ص ٧٠) :

فانيس لا اجهله ... ليس لمصر بالولي
عدو قومي وبلادي ... كيف يصفي الود لي

وحالة الجيش عموما (ص ٨٦) :

حشر اليونان في رايته ... وتراعى الزنج واندس العبيد
وغدا كل طريد لم يجد ... سبب الرزق اتى الجيش يصيد

حتى اصبح فرعون نفسه غريبا في مصر (ص ٤١) :

* تأمل القصر منا ... وانظره ارضا وسما
انظر تر الاغريق فيه ... هم لفيف العظما
*تأمل القدر، خوفو؛ ... افيه من مصر شيء ؟
اليس فرعون فيه ... كأنه اجنبي !

٤ عنترة — ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م

« عنترة بن شداد » شاعر بطل نشأ هو وابنة عمه عبلة بنت مالك في بادية نجد فاحبها لجمالها واحبته لشعره وشجاعته وشهامته ثم اراد ان يتزوجها . ولم يشأ مالك ان يزوج عنترة بعبلة لان عنترة « عبد » ولم يستطع ان يصده لانه فارس تحتاج اليه القبيلة، ولذلك كان يدافعه متعللا ويشتط في طلب « الصداق او المهر » ويرفض احيانا (ص ٥٢) :

— ... ان الناس قد تحدثوا ... انك لن ترضى بغير عنتره

مالك : صهراً ؟

— اجل !

مالك : من قال ؟ ذاك كذبٌ ؛ ايطمع الاسود ان اصاهره !

وعبلة تجيبه : « كالليل إلاّ أنّـه في عينيَ القمر المنـيرْ » !

وقد قام عنترة بغارات على اعداء عبس لتخليص عبلة نفسها او لاستنقاذ انعام العبسيين كل هذا في سبيل نيل رضى مالك ابي عبلة ولكن مالكٌ كان يشترط على عنترة ثم لا ينفذ الشرط .

واخيراً خطب عبلة رجل من بني عامر اسمه صخر ورضي مالك بذلك ، ففي يوم الزفاف بينما كانت الطغائن سائرة طلع عليها عنترة واخذ عبلة ووضع مكانها فتاة عبسية كانت تحب صخراً ، وساعدت عبلة عنترة على ذلك . واخيراً يصل عنترة الى حي بني عامر ومعه عبلة وناجية فيعرض عنترة على صخر الزواج بفتاة تحبه هي « ناجيـة » فيقبل صخر نزولا على رأي بني عامر الذين نزلوا على رأي عنترة ؛ ثم يتزوج عنترة عبلة .

(هدف شوقي) — اولاً تصوير الحياة الجاهلية قبيل الاسلام ، وهي تقوم على الحركة الفكرية التي ارادت توحيد كلمة العرب ؛ وشوقي صائب النظر في ذلك بادلةٍ منها قول عنترة نفسه في المعلقة (عن ناقته) :

شربت بماء الدحرضينِ فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم .

وثانيها اتحاد العرب فعلا على الفرس في معركة ذي قار وكان فيهـا عنترة ايضا ؛ فلما بلغ الرسولَ صلى الله عليه وسلم خبرُ الانتصار قال : « هذا اول يوم اخـذت فيه العرب من العجم بحق » . وثالثها ، في الزمن لا في مقام الترتيب ، القرآنُ الكريم وما فيه من الدعوة الى توحيد كلمة العرب . ورابعها دعوة الرسول نفسُها التي تمثلت في الفتوح الاسلامية ، فان الرسول ازال الشقاق من بين العرب وجعلهم يداً واحدة على اعدائهم ففتحوا العالم .

٥ علي بك الكبير ، او دولة المماليك ١٩٣٢

علي بك الكبير حاكم مصر (من المماليك) ويسمى ايضاً شيخ البلد ، تبنى مملوكاً (محمد بك ابو الدهب) . طمع ابو الدهب بحكم مصر فجمع حوله العرب (البدو)

والغز (من الترك) وتهيأ للثورة على علي بك (ص ٣٨) :

وعقّ الذي ربيت في حجر نعمتي ... ووطأت اكنافي له وظلالي
تألف اصحابي وألّب شيعتي ... عليّ ، واغرى بالخروج رجالي

ولما قوي امر ابي الدهب فر علي بك من مصر الى ضاهر العمر — وهو اميربدوي رأى ضعف الدولة العثمانية فبسط نفوذه على شمالي فلسطين واستولى على عكا. — . وقد ساعد ضاهر العمر عليّ بك فظفر علي بك في اول المعركة (ص ٩٩) ثم جرح علي بك وانهزم جيشه وحمل هو وضاهر اسيرين الى مصر .

ونعود قليلا في الزمن لنرى مصطفى اليسرجي ، وهو « جلاب » جركسي يأتي بابناء قومه من مسقط رأسهم ليبيعهم في مصر . وقد اتفق انه باع ابنه (مراد) وابنته (آمال) من غير ان يعلم احدهما بخبر الآخر . فاصبح مراد في قواد علي بك ، واصبحت آمال زوجة لعلي بك نفسه — وهو يجهل ايضاً الصلة بينهما — ثم ان ميلاً نشأ بين مراد وآمال كاد يفضي بهما الى الزواج

لما قوى امر ابي الدهب انضم مراد اليه اما مصطفى اليسرجي (والد مراد) فقد ظل مع علي بك . وفي المعركة الاخيرة يجرح مرادٌ مصطفى فيتحامل مصطفى ويعرض لمراد ليخبره بحقيقة الصلة بينه وبين آمال .

وقبل ان يموت علي بك (من جرحه) يعلم بصلة مراد بآمال (وكان من قبل يتهمها بخيانته معا) ويعلم ذلك محمد ابو الدهب ايضا . يسر ابو الدهب بذلك ويهب الاخوين قصراً ومالا يعيشان بهما عيشا هانئا .

(هدف شوقي) يريد شوقي في الدرجة الاولى ان يصور الحياة الاجتماعية في مصر في القرن الثامن عشر (ايام المماليك) وما فيه من شيوع الاتجار بالرقيق . ثم يريد ان يعلمنا ان الوطني الصادق لا ينتصر على ابن وطنه بعدوهما ، فلما عرض قائد الاسطول الروسي على علي بك ان يترك الاستنجاد بضاهر العمر (ص ٨٢) :

سيدي الق ضاهراً وتقلّدْ ... نجدة القيصر العظيم الشانِ
لا ترومنّ بالعصا ملك مصر ... واطلب الملك بالحسام اليمان

كيف تبغي سرير مصر بشيخ بدوي بصارم وحصان

لم يخف على علي بك المغزى فقال لنفسه ثم خاطب القائد (ص ٨٤) :

* ربّاه ، ماذا يقول المسلمون غداً ان خنت قومي واعمامي واخوالي ؟
يقال في مشرق الدنيا ومغربها فعلت فعلة نذل وابن انذال
* اجل سموت لملك النيل اطلبه بهمتي وباقدامي وافعالي
لا استعين على الاهل الغريب ولا ارمي الذئاب على غالي واشبالي !

والثالث ان شوقي يريد ان يجمع الكلمة ، فلما دخل ظاهر العمر اسيراً على محمد بك ابي الذهب سأله ابو الذهب (ص ١٠٦) :

من فلسطين انت ظاهرٌ ام من ارز لبنان ام لك الشام اصلُ ؟

(وكان ظاهر شامي الاصل — من شمالي سورية) فاجابه ظاهر :

كل هذا هناك مولاي اصل واحد يجمع الرجال وفصل
عربٌ كلنا ومنطقنا الفصـ . . حى وآباؤنا نزار وذهـل

٦ اميرة الاندلس (نثر) — ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م

ترجع بثينة — بنت المعتمد بن عباد ملك اشبيلية (الاندلس) — من سوق الكتب في قرطبة ، وكانت قد ذهبت اليها متنكرة في زي غلام والقيت فيها شابا مغرما بالكتب مثلها فتحادثا ووقع الشاب من نفسها من غير ان يتعارفا . تصل بثينة الى قصر ابيها (باشبيلية) فتجد ان سيري بن ابي بكر وزير المغرب (افريقية) يريد ان يخطبها لنفسه فترفضه لانه زوج ثلاث وستكون هي الرابعة .

وكان في اشبيلية تاجر شهير اسمه ابو الحسن ساءت حاله المالية فتوافد الاغنياء والسماسرة اليه يريدون ان يشتروا داره وما في داره من نفائس . ويتفق ان تزور بثينة (متنكرة بزي غلام اسمه ابن غصين) دار ابي الحسن فتجد هنالك الفتى التي لقيته في سوق الكتب باشبيلية ، واذا هو حسون بن ابي الحسن ، فيتحادثان ويصف لها

— فيما يصف — المعركة التي قتل فيه « الظافر » (ابن المعتمد بن عباد : اخوهـا) فيغمى عليها وتسقط القلنسوة عن رأسها وينكشف امرها فيتعارفان ويفكران في الزواج .

في هذه الاثناء تكون حالة اشبيلية السياسية قد ساءت جداً وازداد طمع الفرنجة بابن عباد فيستنجد ابن عباد بيوسف بن تاشفين (سلطان المغرب : افريقية) فيسرع ابن تاشفين في جنوده من البربر ويتغلب المسلمون على الفرنجة في معركة الزلاقة الشهيرة (٤٧٩ هـ ١٠٨٦ م) . الا ان ابن تاشفين يطمع بملك ابن عباد فيهجم البربر على المدينة ويحملون ابن عباد اسيراً ويسبون بناته . وتقع بثينة في سهم قائد بربري يضيق بهـا ذرعا لانها مريضة نحيلة ولكنه أخذ من اصبعها خاتماً وطاف به في اشبيلية ليبيعه فرآه ابو الحسن وعرف الخاتم فاشتراه منه وخلص بثينة واتى بها الى داره . هنا يعزم حسون وبثينة على الزواج ولكن بثينة ترفض ان تتزوج من غير ان يعلم اهلها فينتقل الجميع الى حصن اغمات (منفى ابن عباد) ويتم الزواج .

(هدف شوقي) — يريد شوقي (١) ان يصف حال الاندلس في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) من تخاصم الامراء المسلمين وظهور سطوة الفقهـاء مع جهلهم وقصر نظرهم ؛ ومن طمع الافرنج بالمسلمين وملوكهم . ثم يريد ان (٢) يقول بحرية المرأة في اختيار زوجها ، وان السعادة الزوجية ليست بالمال او المنصب العالي ، وبحق المرأة في الكفاح في الحياة . ويحب ايضا (٣) ان يجلو العزة القومية الاسلامية بان يجعل المعتمد بن عباد يفضل ان يرعى الجمال ليوسف بن تاشفين (ان يكون اسير امير مسلم) على ان يرعى الخنازير لملك الاسبان (يكون اسير امير مسيحي)

*

شوقي والتأليف المسرحي

نريد هنا ان نعارض الخصائص الفنيـة في روايات شوقي بالمقاييس التي قبلهـا الباحثون المسرحيون عموما . ولقد وجدنا ان الباحثين قبلنا نقدوا الروايات المسرحية على اربعة اسس : التأليف ، والوضع ، وامكان التمثيل ، والنظارة . فما قيمة روايات شوقي بالاضافة الى هذه الاسس الاربعة ؟

(١) التأليف (الخصائص الفنية العامة) — يغلب على روايات شوقي الاسلوب الادبي عموما (في مجنون ليلى وكليوباترا خصوصا) ولا شك في انها كثيرة الموافقة للقراءة الفردية او المطالعة . ويؤخذ قارىء روايات شوقي « بالشعر » اكثر مما يؤخذ بسياق الحوادث . وللصناعة المعنوية واللفظية وللآراء المفردة مكان كبير في هذه الروايات — لقد كان شوقي شاعراً ينظم روايات، ولم يكن روائياً يضع رواياته شعراً. وقد عمد شوقي في الاقناع الى الاسلوب الخطابي في الاكثر .

فشوقي من هذه الناحية كلها لا يشبه شكسبير وموليير ، بل يشبه بعض قدماء اليونانيين ، ويشبه روائيي العصور الوسطى الذين قلدوا اليونانيين في وضع الروايات المغزى التهذيبي من غير ان يقصدوا اخراج رواياتهم على المسرح .

على انه لا مندوحة عن عد شوقي مع كبار الروائيين في هذه الناحية، في صف سوفوكليس واوريوبيدس وكورناي وغوته ، واذا كانت حسنات هؤلاء — على اعتبار اختصاصهم بالفن الروائي التمثيلي ماعدا غوته — اكثر من حسنات شوقي فان سيئاتهم ليست اقل من سيئاته .

(٢) الوضع (المعالجة الفنية للموضوع) — ليست « الرواية » حادثة حقيقية لان الحوادث الحقيقية لاتتكرر؛ وليست خيالا محضا لان الخيال المحض لايتحقق — « ولكن الرواية تقليد لحادثة حقيقية مع تحويرات تقتضيها طبيعة المسرح ويقتضيها التهذيب الاجتماعي » — . ولم يغب ذلك عن شوقي ؛ الا ان شوقي ، وان كان مغرما بحضور الروايات التمثيلية والافلام السينمائية ، فانه لم يكن ممثلا كشكسبير وموليير ؛ولذلك جاءت رواياته اشد صلة « بالناحية الوجدانية » منها « بالناحية العملية »

وزعم نفر ان « الحوادث » كثيرة متعددة في شعر شوقي وان بعضها لا يتصل بموضوع الرواية كثيراً . ولكن الامر ليس كذلك فهنالك روايات تزدحم بالحوادث اكثر من روايات شوقي ، الا ان شوقي لم يوجه هذه الحوادث كلها نحو هدفها الحقيقي توجيهاً ظاهراً ، ولعله قصد بعض ذلك . وقال آخرون ان التنسيق المنطقي او التاريخي قليل عند شوقي وربما كان بعض هذا صحيحا ، اذ يظهر ان شوقي وضع بعض

روايات في ازمنة متطاولة مختلفة ، او انه نظم بعضها اقساما مستقلة ثم جمعها ، او انه ادخل على بعضها في المدة الاخيرة تحويراً وتنقيحا اخرجها عن ان تكون «وحدة تأليفية» .

وقال بعضهم ان شوقي تقيد بالتاريخ كثيراً وقال آخرون انه تلاعب بالحوادث التاريخية وكلا هذين مردود ، فالتلاعب بالحوادث التاريخية والجغرافية والعلمية وغيرها امر معروف في تاريخ التأليف المسرحي ، واما التقيد الشديد بالتاريخ فراجع الى نوع الموضوع والرواية ، كأن يكون الموضوع مأخوذاً مثلاً من حوادث التاريخ كما في (قمبيز) او من الروايات الشائعة (كمجنون ليلى وعنترة) .

اما «العقدة» عند شوقي فكانت قوية احيانا (مجنون ليلى ، كليوباترا واميرة الاندلس) مع العلم بان الروايات التي تتناول التاريخ لا يمكن ان «تنعقد» بالمفاجئات كالروايات العاطفية البحت — وحسبك ان ترى ذلك عند الروائيين الغربيين الكبار . ثم ان شوقي لم يبدع في عقد مفاجئات متوالية كما فعل شكسبير مثلاً ، ولم يصل احد الى شكسبير في ذلك .

ولقد كان شوقي دائماً «مهذبا» في رواياته ، صاحب مثل اعلى متقيداً بالاخلاق والعادات النبيلة فضيع ذلك عليه شيئاً كثيراً من حبك المشاهد العاطفية المثيرة كما نرى عند شكسبير وموليير خاصة —

(٣) الاخراج او التمثيل — (موافقة الرواية للمسرح) وهنا نعرض للشروط والعوامل التي تجعل تمثيل الرواية الموضوعة ممكناً ومعقولا معاً . واول ما نعرض له « الوحدات الثلاث » .

حينما نظر الفيلسوف اليوناني ارسطوطاليس الى الروايات التمثيلية التي سبقت عهده او عاصرته استخرج منها ثلاثة قوانين : وحدة الزمان ووحدة المكان ، ووحدة الموضوع . ويجب ان نقول هنا ان ارسطو لم يضع هذه القوانين ليفرضها على المؤلفين الذين سيأتون من بعده ، وانما وجد ان « الوحدات الثلاث » غالبة على الروايات التي الفت من قبله . وهنا يجب ايضاً ان نشير الى ان هذه الوحدات كانت ذا صلة قوية بالمسرح اليوناني وبالبيئة اليونانية وبتثقيف اليونانيين .

١ — وحدة الزمان = وقصدوا بذلك ان تتم حوادث الرواية في نحو يوم واحد

(اربع وعشرين ساعة) ولكن هذا قد يستحيل احيانا ، ولذلك لجأ اليونانيون الى « الافتراضات المسرحية » كأن يجعلوا الملك مثلا ينتقل من طرواده في آسيا الصغرى الى آثينة في بلاد اليونان في بضع دقائق ؛ او ان يلجأوا الى معونة « الالهة » في حل الازمات التي لا تحل على يد البشر في زمن قصير . ومع ذلك فقد شذ بعض المؤلفين المسرحيين — قبل ارسطو — عن هذه القاعدة ؛ وارسطو نفسه لم ير ان تفرض وحدة الزمن على الروائيين .

ب — وحدة المكان = ورأوا ان تقتصر الرواية على مكان واحد — لا الشيء — بل لان « المسرح اليوناني كان ينصب بالعراء » اي في الهواء الطلق وكان تبديل الممثلين ونقلهم من مكان الى آخر وتهيأة المسرح على اشكال مختلفة ، كلها غير متيسرة .

ج — وحدة الموضوع = وذلك ان تتألف الرواية من « سلسلة حوادث » يتصل بعضها ببعض اتصالا يجره سياق الرواية في اتجاهها نحو « حل العقدة » . وهذا امر لا يتعلق باليونان وحدهم ، وانما هو متعلق بطبيعة الرواية التمثيلية نفسها .

على اننا لو راجعنا تاريخ التأليف المسرحي لوجدنا ان الشعوب اللاتينية — الايطالية والافرنسية — احبوا ان يتقيدوا بقوانين ارسطو على انها قوانين ثابتة ، واصر الايطاليون على ذلك . اما الافرنسيون فتساهلوا في اول الامر فيها ثم عادوا الى التمسك بها . واما شكسبير فقد تحرر من قانون الزمان والمكان تماما ثم تصرف بوحدة الموضوع ايضا .

ولما جاء شوقي نحا نحواً شكسبيرياً فلم يتقيد بوحدة المكان والزمان — والمنطق يقضي بالا يتقيد بهما — واسباب المدنية قد قصرت المسافات وجمعت الازمنة ، والحاجة قد اوجبت ان تتوزع الامور في اماكن مختلفة وازمنة مختلفة ، فاذا اراد الروائي ان « يمثل رواية » وجب عليه ان يجمع تلك الامور من الاماكن والازمنة التي كانت تتوزع فيها . بقي علينا ان نعلم : « هل استطاع شوقي ان يدفع جميع الحوادث التي اختارها لكل رواية من رواياته في سياق منطقي يقتضيه حل العقدة ؟ »

يقولون ان عند شوقي حوادث لا تقتضيها الرواية ضرورة ؛ ومثل هذا موجود عند غير شوقي ، ولكن قد يكون شكسبير (في يوليوس قيصر) ابرع في جمع الحوادث

في نظام واحد لان التأليف المسرحي كان « عمل شكسبير الوحيد » ولان شكسبير كان ممثلاً ، ولانه كان يضع رواياته للتمثيل ، ويضع بعضها لممثلين مخصوصين . ثم انه كان يضع كل رواية وضعا مستقلا .

ويقولون ان شوقي يجعل في بعض رواياته حادثتين كُبْرَيين وهذا نجد مثله عند شكسبير ايضاً ، فان المتآمرين اغتالوا يوليوس قيصر في المشهد الاول من الفصل الثالث ، وكنا نظن ان الرواية قد انتهت واذا بها تبدأ من جديد بدأ اقوى واشد (في خطابي بروتوس ومارك انطونيوس) وتستمر ثلاثة فصول كاملة (٣٣ صفحة من اصل ٦٢ صفحة) . . . وتنشب فيها مؤامرات وحروب . . .

واكبر الظن ان شوقي لم يفكر — وهو يضع كل رواية من رواياته — بالممثل الاول او بالممثلين الذين سيقومون بادوار هذه الرواية ، ولهذا تسرب بعض الضعف الى الشخصيات التي نراها عنده . ويتبع ذلك طول الفصول والمشاهد او قصرها وتعددها مما كان خاضعا عند شوقي في الدرجة الاولى « للتأليف الادبي » اكثر منه « للتمثيل المسرحي » .

واما الخرافات والخوارق فقد رأيناها عند شوقي في (مجنون ليلى) فقط . اما في الازمنة القديمة وفي العصور الوسطى فكانت على اشدها واتم سخفها ويتبع الخرافات « المحالات » اي المشاهد التي لا يمكن اخراجها على المسرح : كقتال الجيوش وحدوث الصواعق وظهور الاشباح وما اليها ، وهذه قليلة عند شوقي كثيرة عند غيره ، وقد يلجأون الى « التشبيه » فيها عند التمثيل اوالى حذفها ؛ وفي العصر الحاضر قد يستعينون عليها بالسينما .

الرواسب = ونقصد بها الحوادث التي تبدأ في الرواية ثم تغيب فلا ندري ما حدث لها ، فاننا نعلم ان ظاهر العمر (في علي بك الكبير) حمل اسيراً الى مصر ، ولكن لا نعلم ماذا حدث له فيما بعد . ان المعروف في تاريخ المسرح ان شكسبير ابرع الروائيين في التخلص من هذه الرواسب فهو يريك نهاية جميع الاشخاص الذين ذكرهم في رواياته قبل ان يسدل الستار لآخر مرة . ولقد حاول شوقي ان يفعل ذلك في (قمبيز وعنترة) فانتقده بعضهم عليه .

٤ النَظّارة = والنظارة - عند ابي نواس والجاحظ - هم الذين يحضرون الاعراس والمجادلات والمجالس والاحاديث ؛ وهنا هم الذين يحضرون تمثيل الروايات ، اي رُوّاد المسارح .

حرص بعض الروائيين - كشكسبير وموليير على الاخص - على استرضاء النظارة بكل سبيل للاستفادة ماليا من تمثيل رواياتهم ، ولذلك ظن بعضهم ان نجاح الرواية على المسرح - بالاضافة الى النظارة - عنصر من عناصر قوتها الفنية ؛ ولكن بعض النقاد لم يروا ذلك . وهنالك مؤلفون وضعوا روايات تمثيلية مستقلة تمام الاستقلال عن المسرح : وضعوها ليقرأها الناس لا ليمثلها الممثلون . ثم ان خيبة التمثيل قد لا تعني شيئاً ، فان رواية « فدر » لراسين خابت على المسرح (لاسباب غير فنية) مع ان اسلوبها بارع رائع .

*

ليس شوقي - وليس من رجل في هذا العالم - اكبر من ان يتناوله النقد على صورة من الصور وفي سبيل من السبل ، ولكن يجب علينا ان ننصف في النقد ونعلم انهم ينتقدون شوقي الذي وضع روايات شرقية ليقرأها الشرقيون انفسهم ويتهذبون بها ، او ليشهدوا تمثيلها في بيئتهم التي نشأوا فيها وهم يستعينون على فهمها بتاريخهم الذي تغذوا بحوادثه وينظرون الى مغزاها من خلال ثقافتهم الاجتماعية والشخصية وتربيتهم التاريخية ... انهم ينتقدونه بقوانين خُلقت لبيئة يونانية او افرنسية او انكليزية ثم يزعمون ان شوقي مقصر عن اقرانه .

ان ثمت فارقاً بين شوقي وبين سوفوكليس وشكسبير وموليير كما ان هنالك فارقاً بين القطب وبين خط الاستواء او بين السهل والجبل او بين اللغة واللغة . ولكن الفارق وحده لا يجعل احد المفترقين ادنى من الآخر ضرورة ولا ارفع منه لزاما .

تم

اطلبوا

من مكتبة منيمنة (شارع المعرض - بيروت)

من مكتبة الكشاف (شارع المعرض - بيروت) ومن سائر المكاتب :

سلسلة الكشاف الادبية	ق ل س
ابو نواس — دراسة ونقد (الطبعة الثانية)	٢٥
ابو نواس — مختارات	٢٥
ابو تمام	٢٥
دراسات قصيرة	
الحجاج عمر بن ابي ربيعة ابن المقفع	١٥
الترسل والمقامات ابن الرومي	٢٠
كلمة في احمد شوقي	٢٥
اربعة ادباء معاصرون	« تحت الطبع »
للصفوف الابتدائية	
الخطوات الاولى في الانشاء العربي	١٠
تاريخ سوريا ولبنان المصور	
١ — الجزء الاول — باسلوب قصصي	٤٠
٢ — الجزء الثاني	٤٥
٣ — الجزء الثالث (لطلبة الشهادة الابتدائية)	٥٠
سفينة الحيوانات — مغناة تمثيلية للاطفال	٥
الاناشيد المصورة	٨
المسلم الصغير	٢٠

A. B. LIBRARY

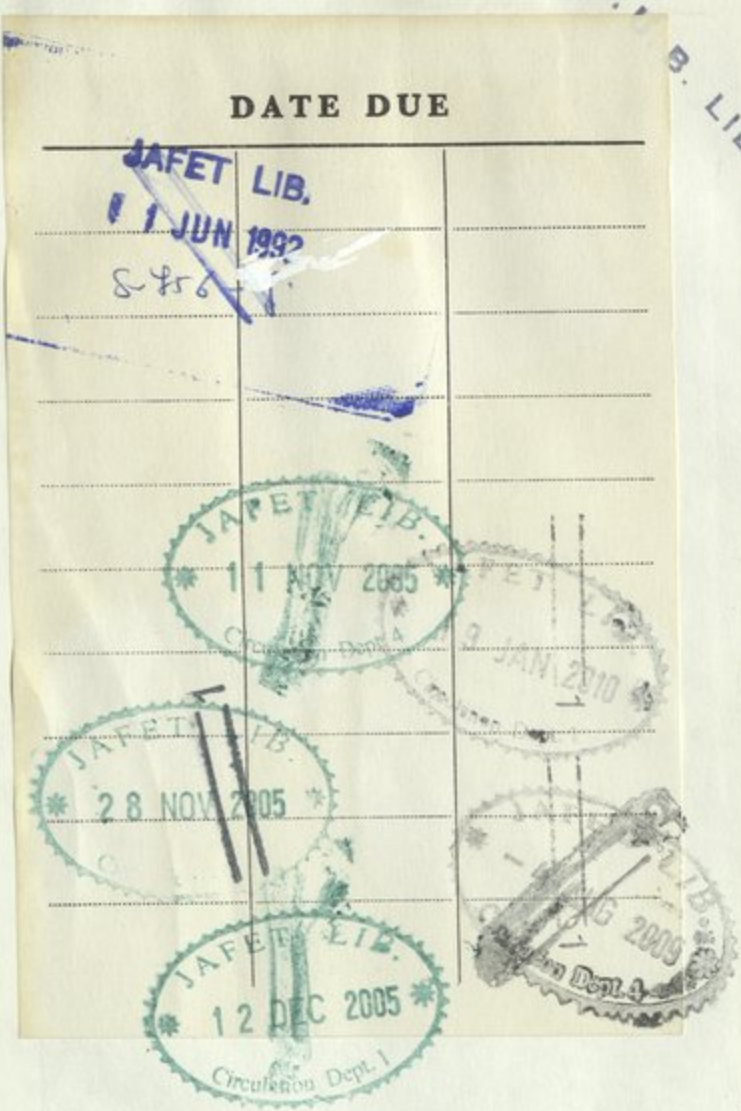
DATE DUE
JAFET LIB.
11 JUN 1992
JAFET LIB.
11 NOV 2005
Circulation Dept.
JAFET LIB.
28 NOV 2005
JAFET LIB.
12 DEC 2005
Circulation Dept.

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01035985

فروخ، عمر
كلمة في أحمد شوقي

892.78
Sh5985yfA
C.1